رسالة
أصوات أجنحة جبريل

رسالة
«أصوات أجنحة جبرائيل»(*)
(من مقدمة هنري قوربان وپاول كروس)

الرسالة الصغيرة التي كتبها السهروردي بعنوان «آوزبر جبرئيل» هي في جوهرها قَصٌّ لرؤية سماوية وقعت له ذات ليلة، وفي خلال هذه الرؤية تلقى من شيخ حكيم أتى من مكان وراء المكان علم أسرار نشأة الكون ومبادئ الحياة الصوفية. فبعد التحميد المعهود نعلم أن الدافع إلى كتابة هذه الرسالة كان مناقشة أليمة جرت في محفل من الناس، ثم يعرض لنا المصنف الظروف التي وقعت فيها

(*) كتب هنري كوربان وپاول كروس مقالة بعنوان: «أصوات أجنحة جبرائيل» للسهروردي رسالة فلسفية صوفية، نشرها وترجمها مع مقدمة وتعليقات هنري كوربان وپاول كروس في المجلة الأسيوية Journal Asiatique، عدد يوليه ـ سبتمبر سنة ١٩٣٥، ص ١ ـ ٨٢:
Suhrawardi d' Alep. Le bruissement de l'aile de Gabriel. Traité philosophiqne et mystique, publié et traduit, avec une introduction et des notes, par H. corbin et P. Kraus.

وقد ترجمنا منها هنا الفصل الثاني كمقدمة للترجمة العربية لرسالة السهروردي هذه: ثم ترجمنا الشرح الفارسي الذي وضعه شارح مجهول الاسم (وجد الناشران شرحه هذا في مخطوط شهيد علي باشا برقم ٢٧٠٣ ورقة ٢٠٠ ب إلى ٢٠٨ ب وتاريخه سنة ٧٣١هـ، راجع هـ. رتر في مجلة «الإسلام» جـ٢١، ص١٠٧)، عن الفارسية وعن الترجمة الفرنسية التي وضعها الناشران أما ترجمة نص رسالة السهروردي نفسها إلى العربية ـ وهي الترجمة الواردة هنا. فقد وجدها الأستاذ ماسينيون في الأوراق التي خلفها المأسوف على شبابه الممتاز پاول كروس، ولابد أنها من عمله، وقد أثرنا هنا نشرها ـ على حالها، إلا في قليل جداً من المواضع ـ، بدلاً من قيامنا بترجمتها من جديد إحياءً لذكرى هذا العالم الذي كان انتحاره أكبر خسارة في تاريخ الاستشراق المعاصر.

هذه الرؤية (الليلة، واختفاء الصور، والعلائق الحسية)، وبعد أن ذكر ما استشعره من خوف في أول الأمر وهو في حضرة هذا الشيخ الحكيم الذي ليس شيئاً آخر غير «العقل الفعال». أنشأ يقص علينا حديثه معه.

وفي وسعنا أن نميّز فيها قسمين وفقاً لما ورد فيها من تعليم يناظر التكوين الروحي المزدوج الذي يجب أن يظفر به الصوفي الكامل.

في الأول نجد النقاط الرئيسية في المذهب الكوني التقليدي: «صدور» العقول والأفلاك، وما بينها من علاقات متبادلة؛ وإيجاد العناصر، وإيجاد عالم الكون والفساد. بيد أن العرض هنا ليس عرضاً تعليمياً؛ فالحكيم المتحدث هنا لا يقيم الحجج ولا يعقد البراهين من أجل إقناع السامع، بل كل إجاباته تلقى تحت ستار الأمثال، وفي تبادل الامثلة والأجوبة يتوالى موكب الصور دون أن يكون مجموعاً متجانس الأجزاء.

وليس في هذا كله تمثيل «رمزي» للحقيقة الواقعية؛ فالصور المستخدمة ليست في تناظر ولا محاكاة للأشياء؛ وليس في مقدورها أن تكون سلسلة متصلة مساوية مناظرة لها تكفي نفسها بنفسها؛ إن هي إلا دليل للتأمل الباطن تدعو إليه الأشياء التي لا تدل عليها هذه الصور، بأن توحي بوجود مماثلة في أحوالها وأحوال الأشياء الحقيقية (راجع التمثيل «بالركوة ذات الأحد عشر ثنْيا»، وبالأرحاء التي يديرها أولاد، إلخ). وقيمتها من حيث كونها رموزاً ليست في مشاركتها في وجود الأشياء، وإنما في فعل الفكر نفسه.

ولا مناص لنا من الاعتراف بأنه لولا الشرح الذي وضعه لها شخص مجهول الاسم والذي كان لنا في هذا خير دليل، لما كان في استطاعة فكرنا نحن أن يقوم بهذا الفعل من أول لحظة، ولأمكن أن تظل قيمة هذه التشبيهات مجهولة كأنها ألغاز ومُعَمّيات.

وبعد هذه الأسئلة المتصلة بنشأة العالم يطلب الرائي (السهروردي) من هذا الحكيم أن يعلمه «علم الخياطة»، هذا العلم الذي صرّح عنه من قبل فقال إنه حرفته

الرئيسية. لكن هذه الخياطة ليست إلا إحداث الحوادث في العالم السفلي، أي تركيب الهيولى والصورة. لذا لا يستطيع الحكيم أن يجيب التلميذ إلا بقوله إن هذا العلم غير ميسر للنوع الإنساني؛ وكل ما يستطيع أن يعلمه إياه من هذا العلم هو «قدر ما يمكنّك من تصليح خرقتك الخشنة المرقعة». وهذه المعرفة الجزئية المأخوذة من العملية الكونية ليست إلا الطب(١). وهنا يمكن أن نعد المرحلة الأولى من مراحل التعليم الصوفي قد انتهت.

والقسم الثاني فيه مجموعة من الاسئلة من نوع آخر مختلف تماماً. بل إن الاصطلاحات نفسها لتتغير تغيراً محسوساً. فبدلاً من الصور التي كانت في القسم الأول ترمي إلى معلومات كونية وفزيائية، نشاهد هنا سلسلة من الاصطلاحات والرموز الدينية تماماً، وتعبيرات قرآنية (الكلمة، الروح، اللوح، إلخ)، وتفسير كثير من الآيات القرآنية، وذكر الأبجدية الصوفية (الجَفْر)، إلخ.

ثم يسأل صاحب الرؤيا الحكيم الشيخ قائلاً: «علمني الآن كلام الله». واللهجة هنا تختلف تماماً، بيد أن الجواب فيه تحفظ: «ما دمت في هذه القرية فلا يمكنك أن تتعلم كثيراً من كلام الله تعالى. ولكني أعلمك قدر ما أنت ميسر له». وهناك يلقنه الشيخ حروف هجاء عجيبة استطاع بها أن يفهم معنى كل سورة من سور القرآن، وهي معانٍ لا تستطيع الحدود ولا الأقيسة أن تدركها.

ومن العسير جداً أن نقوم بتحليل دقيق وعرض يخضع لجدل السؤال والجواب وما يستلزمه من عفو الحديث. بيد أننا نود مع ذلك هنا أن نجمع عناصره حتى يسمح بزيادة فهم ما يتلى في سياقه. إن هناك مسائل ثلاثاً تسود هذا القسم من الرسالة: الأولى مسألة الروح (الروح القدس والروح المخلوقة)؛ والثانية ترد في سياق التحدث عن «جناح جبرائيل» بوصفه مبدأ النظام في العالم السفلي، فذكر

---

(١) قارن هذا بدور الطب في نهاية «رسالة الطير» لإبن سينا؛ وهي الرسالة التي ترجمها السهروردي من بعد إلى الفارسية.

«صدور» الكلمات أو الأنوار، وآخرها جبرائيل نفسه؛ والمسألة الأخيرة هي التي يتحدث فيها عن جناحي جبرائيل؛ الجناح المضيء والجناح المظلم، ويكشف عن معنى كليهما.

والمسألة الأولى بمثابة تقديم ومدخل للمسألتين الأخريين، لأن جبرائيل نفسه هو الروح القدس، فلا بد إذن من بيان مكانته في المدارج الكونية. إن لله كلمات كبرى هي الأنوار الصادرة عن نوره؛ وجبرائيل آخرها، فهو الملك الذي بعثه الله لينفخ في آدم من روح الله لما أن خلقه؛ وهو كذلك الملك الذي أرسله الله من بُعد إلى مريم. وتتلو هذا شواهد عدة من القرآن على أن الروح القدس معناها جبرائيل وأنها هي الكلمة. وبنو الإنسان هم «الكلمات الصغرى» الصادرة عن هذه الكلمة.

وقوله إن لجبرائيل جناحين يحر إلى إشارة سريعة إلى أسرار علم الملائكة، وبخاصة إلى معنى عدد الأجنحة التي منحها الله لكل درجة من مدارج الملائكة (راجع سورة الملائكة: ١). ولكن هاهنا مشاكل من الغموض بحيث يرفض هذا النص أن يطيل القول فيها. وفي مقابل هذا نرى أن معنى جناحي جبرائيل يفضي إلى عرض مسهب للثنائية التي تقوم أصلاً للطبيعة المخلوقة. ويمكن أن نقارن هنا بين الطريقة التي يعبر بها السهروردي عن حال العالم ملتجئاً إلى الرمز بالجناحين، وبين الثُّلاث: جمال، عشق، قلق ـ وهم «الأخوة» الثلاثة المتولدون عن العقل الأول، كما يبدون في مقدمة رسالة «مؤنس العشاق»، ممثلين في أشخاص تاريخ سيدنا يوسف كما يرد في الكتاب المقدس: يوسف، زليخا، يعقوب.

ومن بين الإجابات الأخيرة التي يختم بها الحوار، نرى واحداً منها يجيب عن سؤال هذه التشبيهات: «قلت للشيخ: فما هي، في آخر أمرها، صورة جناح جبرائيل؟ فأجاب: يا عاقل! كل هذه الأشياء ليست إلا رموزاً إن عَلِمْتها على ظاهر معناها كانت تخيلات لا حاصل لها قط».

ونرى جواباً آخر يبين أن هذه القرى التي يتحدث عنها القرآن، وهي ﴿ٱلظَّالِمِ

﴿أَهْلُهَا﴾[١]، تدل على مقام «الكلمات الصغرى»، معبدها الخاضع للفناء والفساد، ولكنها هي نفسها خارجة عن الزمان والمكان.

وهنا لا تنتهي الرسالة بنتيجة ثابتة كما هو الشأن في ختام المباحث التعليمية ذات البراهين، ويطلع النهار ويجد التلميذ نفسه وحيداً، يعمره شوق لا يبلغ مداه التعبير. ولا جدوى بعد في الدموع والصيحات، وما يبقى هو الدعوة المضمرة المتضمنة في مستهل الحديث: «ما دمت في هذه القرية، فلا يمكنك أن تتعلم كثيراً من كلام الله تعالى» ولهذا فالواجب إذن ألا يفكر، بل أن يرحل. ويعود فعلاً إلى بيته. أما معنى هذه العودة فقد شرحه السهروردي في موضع آخر.

(١) سورة النساء، الآية: ٧٧.

(شرح)
رسالة أصوات أجنحة جبرائيل

للشيخ شهاب الدين يحيى بن حبش
ابن أميرك السهروردي المقتول

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديس دون نهاية يحق لحضرة القيومية وحدها، وتسبيح دون قصارى يجدر بجناب الكبرياء من غير شريك. سبحان القدوس الذي هوية كل ما يمكن أن يقال له: «هو»، تستمد من هويته، ووجود كل ما في الأماكن اشتق من وجود من لا يمكن عدم وجوده. وصلاة وسلام على روح السيد (محمد) الذي يفيض ضوء طهارته على الخافقين، ويصل لمعان شعاع شرعه إلى المشارق والمغارب؛ وعلى أصحابه وأنصاره جميعاً.

مقدمة

حدث في يوم من الأيام في محفل ناس قد أصاب بصرهم الرمدُ، أن رجلاً سخر بمناصب سادات الطريقة وأئمتها، ولقصر نظره تكلم من غير رويّة في مشايخ السلف. ولأجل تقوية رأيه المنكر، استهزأ بمصطلحات المتأخرين، حتى بلغت جسارته أن أورد حكاية عن الأستاذ أبي علي الفارمذي[(١)] رحمه الله، قائلاً: إنه سُئِلَ لِمَ سَمّى ذوو الخرقة الزرقاء[(٢)] بعض الأصوات أصوات أجنحة جبرائيل ـ فأجاب: اعلم أن أكثر الأشياء التي تشاهدها حواسك تنبعث من صوت أجنحة جبرائيل، وقال للسائل: إنك أنت أحد أصوات أجنحة جبرائيل. وقد أبى ذلك الخصم المتعسف أن يعترف بمثل هذا الكلام قائلاً: ماذا يمكن أن يكون معنى هذه الكلمة إلا هذياناً مزخرفاً؟ ولما بلغ تجاسره إلى هذا الحد شمرت عن ساعد الجد لأزجره بتلك الحدة نفسها في سبيل الحق، ورفعت ذيل المبالاة إلى كتفي،

---

(١) هو أبو علي أفضل بن محمد الفارمذي، تلميذ أبي القاسم القشيري (صاحب «الرسالة» المعروفة باسمه) وأستاذ الغزالي؛ كان أحد الصوفية الذين قالوا «بالتوقف» في مسألة الحلاج. راجع: معصوم على شاه، كتاب «تاريخ الحقائق» (طبع حجر بطهران سنة ١٣٩١) ص٢٤٧؛ وجامي، «النفحات» (نشر ف، نساو وليس F Nassau - Lees في كلكتا سنة ١٨٥٨)، ص٥١٩ ـ ص٤٢١، والعطار، «تذكرة الأولياء»، نشر نيكلسون Nicholson، جـ١ وجـ٢، انظر فهرس الأعلام تحت المادة؛ والهجويري، «كشف المحجوب»، نشر اتشكوفسكي Zukovski ص٢١١.

(٢) فيما يتعلق باللون الأزرق لخرقة الصوفية، راجع أوتو برتس، «رد الغزالي على الإباحية»، (محاضر جلسات أكاديمية بايرن للعلوم، القسم، القسم الفلسفي التاريخي لسنة ١٩٣٣، جـ٧ [منشن سنة ١٩٣٣]) ص ١٢، تعليق:

G. Pretzl: Die Streits chrift des Gazali gegen die Ibahiya (Sitz. Ber. Bayr Ak. d Wiss. phil. hist. Abt.) Die Tor Andrae person Muhammads.

وطويت كُمّ تحملي واعتمدت على ركبة الفطنة. وسميته على طريق الشتم بليداً عامياً، وقلت: إنني سأشرح لكم أصوات أجنحة جبرائيل بعزم مصمم ورأي صائب. فافهم أنت، إن كنت رجلاً وكان فيك خلق الرجال.

ولأجل هذا أدعوا هذه المقالة باسم: «**أصوات أجنحة جبرائيل**».

مبدأ الحديث

في يوم ما انطلقت من حجرة النساء[١] وتخلصت من بعض قيود ولفائف الأطفال[٢] كان ذلك في ليلة انجاب فيها الغسق الشبهي الشكل مستطيراً عن قبة الفلك اللازوردي، وتبددت الظلمة التي هي أخت العدم[٣] على أطراف العالم السفلي.

وبعد أن أمسيت في غاية القنوط[٤]،

---

(١) ش: أي تخلصت من أكدار عالم الأجسام. وهو ينسب الأنوثة إلى هذا العالم بسبب أنه محل الإحساس والشهوات ودار اللذائذ الطبيعية. قارن ما يقوله في «الغربة الغربية»: «اخذونا مقيدين بسلاسل وأغلال من حديد» (ورقة ١٣١)؛ «نجانا الله من أسر الطبيعة وقيد الهيولى» (ورقة ٣٥ب). وحالة الكلام يكاد بنصه يكون هو الكلام الوارد نفسه في رسائل إخوان الصفا (القسم الرابع).

(٢) ش: يقصد بالأطفال الحواس الظاهرة التي تخلص منها؛ وقوله؛ «بعض» قيود إلخ، احترز به عن إدخال الحواس الباطنة (في هذه العبارة). وذلك أن الحواس الباطنة هي آلات الإدراك وحوافظ المعاني الكلية، كأنها الخزائن لها.

(٣) ش: يقصد بهذا العدم فناء عالم المحسوسات أمام بصر وفراغ من كان مشغولاً، لأن عدم الاشتغال هو من خواص الليل، يراجع كذلك: «الغربة» (ص: ٣١ ب)، ففيها معراج النفس «إذا أمسيتم»، وكذلك: «وبينا نحن في الصعود ليلاً وفي الهبوط نهاراً».

(٤) ش: أي بعد أن يئست بسبب القيود الحسية؛ لأن النوم انغمار في العلائق الجسمانية، فإذا انتبه الإنسان من نومه يدرك عالم المعقولات ويكتشف الغيبيات ويحيط بالمغيبات الحقيقة، كما قال أمير المؤمنين علي كرم الله وجه: «الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا». ولكن هذا التنبه إلى عالم المعاني موقوف على موت علم الصورة (الجسماني). وقد قال عليه السلام في حديث مشهور بياناً للسرور الغامر للكائنات: موتوا قبل أن تموتوا، أي موت بالموت الحقيقي قبل أن تموتوا بالموت الطبيعي. أو (كما يقول هذا البيت الفارسي):

قبل أن تشعر بالموت الطبيعي جرِّبِ الحمل لجنات النعيم

وفيما يتعلق بهذا المعنى المزدوج للموت، راجع ابن سينا: «رسالة في دفع الغم من =

من هجمات النوم أخذت شمعاً[١] في يدي متضجراً، وقصدت إلى رجال قصر أمي[٢] وطوفت في ذلك الليل حتى مطلع الفجر[٣] وعندئذ سنح لي هوس دخول دهليز أبي[٤] وقد كان لذلك الدهليز بابان: أحدهما إلى المدينة، والآخر إلى الصحراء والبساتين[٥]. قُمتُ فأغلقتُ الباب الذيّ يؤدي إلى المدينة إغلاقاً محكماً، وبعد رتجه قصدت إلى الفتق الذي يؤدي إلى الصحراء[٦] وعندما رفعت الترس نظرت وإذا عشرة شيوخ[٧] حسان السيماء قد اصطفوا هناك صفاً صفاً، وقد

= الموت»، نشرة مع رسائل صوفية لابن سينا، الكراسة الثالثة، ص٥٢ من النص العربي.

(١) ش: يقصد المؤلف بهذا الشمع، العقل؛ بمعنى أنه هو الذي يرشد النوع الإنساني بفضل النور الذي يرفع الإنسان من حضيض الشقاء إلى أعالي السعادة. وفي القرآن الكريم والأحاديث النبوية وكلمات المرتضى دلائل على هذا، ولا داعي لذكرها هنا خوف الإطالة.

(٢) ش: معنى هذا التعبير الرمزي غير واضح تماماً. فإذا كانت «الأم» معناها الهيولى أي الجسم، في مقابل الأب، أي العقل، فإن «رجال قصر أمي » يمكن أن يقصد بهم الحواس الباطنة؛ ولذا يجب إذن أن نعطي لكلمة «النساء» المذكورة من قبل معنى «الحواس الظاهرة»، وأن نفهم «الأطفال» بمعنى العلائق الحسية المادية عامة. ويجوز أيضاً أنه قصد إلى التسوية بين «الأم» و «النفس». والشارح، بحذفه كلمة «مادر» قد تجنب هذه المشكلة، ونراه يشرح العبارة: «وقصدت إلى رجال القصر» هكذا: «لما أن انطلقت من حجرة النساء، ومعناها العلائق الجسمانية، قصدت قصر الرجال، أي العالم الروحاني والملائكة، وهذا هو ابتداء سلوك الطريق إلى العالم المعقول».

(٣) ش: يقصد بمطلع الفجر الإرادة الغيبية وظهور عالم إلهي.

(٤) ش: يقصد بالدهاليز (خانكاه) وجود نفسه، وبأبيه علة وجود نفسه، وهي العقل. فإذا كان هذا حقاً، يمكننا إطلاق فعل الأب على فعل العلة. ويقصد بدخول الدهليز سر باطنه والتفكر في أرجاء نفسه.

(٥) ش: يقصد بهذين البابين: النفس والجسم، فإنهما بابان أحدهما لعالم النفسانيات والآخر لعالم الجسمانيات؛ والباب الذي إلى المدينة يحدد التعلق بعالم الأجسام، والباب الذي إلى الصحراء والبساتين يحدد التعلق بعالم الأرواح.

(٦) ش: أي تركت المحسوسات واتجهت إلى المعقولات.

(٧) ش: برؤية هؤلاء الشيوخ العشرة يكشف المصنف عن العقول العشرة التي هي فوق =

أعجبتني هيئتهم وجلالتهم وهيبتهم وعظمتهم وسناهم، وظهرتُ في حيرة عظيمة من جمالهم وروعتهم وشمائلهم حتى انقطعت عني ممكّنة نطقي[١]. وفي وجل عظيم وفي غاية من الارتجاف قدمتُ رجلاً وأخرتُ أُخرى. وعندئذ قلت لنفسي: شجاعة! لنكن مستعدين لخدمتهم وليكن ما يكون! فسرتُ رويداً إلى الأمام[٢]، قاصداً للسلام على الشيخ الذي وقف في طرف الصف[٣]. غير أنه بسبب غاية حسن خلقه سبقني بالسلام وتبسم في وجهي تبسماً[٤] لطيفاً حتى تجلى شكل نواجذه أمام حدقتيّ[٥]. ورغم مكارم أخلاقه وشِيَمه بقيت مهابته تغلب على نفسه، فسألته قائلاً: من أين أقبل هؤلاء السادة يشرفونني، إن جاز لي السؤال[٦]؟ فأجابني

= دنس الهيولى، ومقدسة عن المواد الجسمانية، يعني انكشفت لي الملائكة المقربون من الله الذي يلازمون سرّ عزة الله المغيب، وهم الوسائط بين حاجب الوجود وبين النفوس الإنسانية.

(١) ش: كأن جمالهم وكمالهم كانا محضين وكل الكمالات الممكنة كانت موجودة فيهم بالفعل، ونظراً إلى هيبتهم الكبرى وعظمتهم بقي نظر بصيرتي المتجه إلى جمالهم ساكناً من التحير.

(٢) ش: لم أجد نفسي بعد على استعداد للاتصال بهم والتحدث إليهم نظراً إلى أن ذكرى بعض التعلق المادي وقفت حائلة بيني وبينهم.

(٣) ش: الشيخ الذي وقف في طرف الصف يمثل العقل الفعال. فإشارة المصنف إلى أنه في طرف الصف لأن وجوده ومرتبته متأخران عن العقول الأُخرى. ويسمى آخر العقول لأنه واهب الصور للمواد المستعدة لتقبلها؛ وهو الواسطة بين واجب الوجود وبين النفوس البشرية، ويسمى أيضاً روح القدس، وفي الشرع يُسمى جبرائيل.

(٤) ش: يقصد بتبسمه انكشاف العلم وفيض الشيخ به واستعداده هو لتلقيه. ويمكننا في مقارنة هذه الفقرة بالفقرة الموجودة في رسالة «حي بن يقظان» لابن سينا (نشرة ميرن المذكورة، الكراسة الأولى). ففيها يوصف ظهور العقل الفعال على هيئة شيخ حكيم؛ بل نجد فيها أيضاً هذه الجزئية التفصيلية التي تشير إلى أن الشيخ هو الذي بدأ بالسلام (النص العربي، ص٢). والشارح ابن سينا يرى بحق في هذه اللفتة رمزاً جديداً (الموضع نفسه).

(٥) راجع فيما بعد التعبير نفسه خاصّاً بالصلة بين الخادم الحبشية (= الهيولى) وبين الشيخ.

(٦) ترجمة الكلمة: «بي خرده» (المخطوطة ١) غير يقينية. وقد استبدلت بها المخطوطة بـ الكلمة: «خبر ده كه».

الشيخ الذي على طرف الصف فقال: إننا جماعة متجردون(١)، وقد وصلنا إليك من حيثُ أين لا أين(٢).

لم أفهم مقاله. فسألته في أي أقليم توجد تلك المدينة؟ فقال: في أقليم لا تجد السبابة إليه متجها(٣). وإذ ذاك علمت أنه شيخ مطلع(٤). قلت أخبرني وكرامتكم ما الذي يشغلكم أكثر أوقاتكم؟ قال: إن حرفتنا الخياطة(٥)؛ وكل واحد منا يحفظ كلام الرب عن سلطانه(٦)، وإننا لسائحون(٧). سألته: قل لي لماذا يظهر هؤلاء الشيوخ الذين يقفون على رأسك ملازمةَ الصّمْت؟ فأجاب لأجل أن أمثالكم ليسوا أهلاً لمحاورتهم(٨). أنا لسانهم(٩)، وأما هم فلا يكلمون أشباهك.

فرأيت رَكْوة ذات أحد عشر ثِنْيا(١٠) مطروحة في صحن وفي وسطها قدر من الماء، وفي وسط الماء رمل متماسك(١١)،

---

(١) ش: يثبتون عدمهم من المكان لأنه من خواص الأجسام، والعقول روحانية مطلقة لأنها مجردة عن المواد العنصرية وعن المواد الفلكية.

(٢) ش: «كوجا آباد»، معناها سلب الأينية التي هي من الأعراض الجسمانية وإحدى المقولات العشر. ويرسم «الأين» بأنه الهيئة العارضة للجسم في نسبته إلى المكان.

(٣) ش: كل ما يشار إليه بالأصبع فهو جسم، ونحن قد نفينا الجسمية عن العقول.

(٤) ش: أي اعترفت بتجردهم عن المادة.

(٥) ش: يقصد بالخياطة أنه يهب الصورة إلى الهيولى المستعدة لها بحسب حال هذه الهيولى؛ فإن الخياطة هي التي تعطي القميص صورة القميص، وهي العلة الفاعلية للقميص. وكذلك الخياطة هي انتظام سلسلة الموجودات بصورة مناسبة.

(٦) ش: يقصد بحفظ كلام الرب العلوم والمعارف الحاصلة فيها من الواجب.

(٧) ش: يقصد بالسياحة انتشار فوائدهم على الموجودات.

(٨) ش: لا يصلح كل عقل للاتصال بقربهم.

(٩) ش: كل فيض يحتويه استعدادك. أنا الذي أفيض به بوصفي وسيطهم.

(١٠) ش: يقصد المؤلف بهذه الركوة ذات الأحد عشر ثنياً، كرة العالم؛ وتسعة من هذه الثنايا هي الأفلاك التسعة، والاثنان الآخران أحدهما العنصر الناري والثاني العنصر الهوائي. لأن العنصر الناري يحيط بالعنصر الهوائي، وكلاهما محاط بالأفلاك.

(١١) ش: يقصد القدر من الماء العنصر المائي؛ وبالرمل المتماسك مركز الأرض، وبهذا يكون قد ذكر العناصر الأربعة. وهو لا يقول بأن ثمت ثلاثة عشر ثنيّاً، لأن جوهر =

وعلى جوانب ذلك الرمل يتحرك حيوان عديد[١].

وفي كل طبقة من طبقة الركوة ذات الأحد عشر ثنياً، أعني في كل خلية من الخلايا التسع العليا، كان قد أثبت زِرٌّ نَيرّ، إلا في الطبقة الثانية التي كانت أزرارها[٢] النيّرة كثيرة جداً مرتبطة على نمط تلك العمائم المغربية التي يضعها أصحاب التصوف على رؤوسهم[٣]. أما الطبقة العليا فلم يكن فيها أي زر[٤]. ومع هذا كله كانت تلك الركوة في غاية الاستدارة على هيئة كرة[٥]. ولم تكن فيها فرجة، والواقع أنه لم يكن على سطوحها رتق ولا فتق. وقد كانت تلك الطبقات التسع من غير لون. ولأجل ما هي عليه من غاية الطاقة لم يحتجب شيء مما في مقاعيرها[٦]. ولم

= الماء ومركز الأرض لا يدخلان فيها، لأنهما معاً في حاجة ضرورية إلى شيء محيط؛ وهو يذكر هذه الثنايا الأحد عشر نظراً إلى كرويتها واستدارتها وإحاطتها.

(١) ش: يقصد بهذا جنس الحيوانات، وتحته أنواع كثيرة؛ مثل الإنسان (الفرس) إلخ، وكل نوع له أصناف كثيرة، مثل الروسي والحبشي إلخ. وكل صيف يشمل أشخاصاً وأفراداً كثيرة مثل زيد وبكر إلخ الذين يسكنون الربع المعمور من الأرض.

(٢) ش: يعني أنه يوجد في كل من الأفلاك التسعة كوكب دريّ، اللهم إلا في الفلك الثامن، ففيه ركزت كواكب كثيرة.

(٣) لعلّ العمائم المغربية ترمز هنا إلى حركة الأفلاك ودورانها من الغرب إلى الشرق. وعلى عكس أرسطو يرى كثير من الفلكيين العرب أن الفلك الثامن يتحرك هو الآخر من الغرب إلى الشرق.

(٤) الفلك التاسع خالٍ من الكواكب، هو أعظمها. والسبب في أن الشيخ يتحدث عن الطبقة الأولى والثانية، ويقصد بهما الفلك الثامن والتاسع، وهما فلك البروج والفلك الأعظم، هو أن بصيرته تحيط بكرة الأفلاك. وما هو بالنسبة إلينا طبقة تاسعة، هو بالنسبة إليه طبقة أولى، إلخ.

(٥) ش: يعني أن كرة الأفلاك لها حركة غاية في الاستدارة، ولا نقبل الخط المستقيم، لذا في النقطة تحاذي النقطة.

(٦) ش: إنه لا لون لها، لأن السطح المقعر منظور من خلال السطح المحدب؛ فإن الكثافة تحول دون رؤية ما ورائها. وعلى هذا فنحن نرى كل هذه الكواكب من خلال الفلك الأول، على الرغم من أنها تضيء في الواقع من أعلى الفلك الثامن، أعني فلك البروج. فواضح إذن إنه إذا لم تحجب الأفلاك بعضها بعضاً، فهذا إنما يرجع إلى غاية=

يتمكن أحد من أن يخرق تلك الثنايا التسع العليا[١] خرقاً، ولكنه كان من السهل أن تُثقب الطبقتان السفليان[٢].

فسألت الشيخ: ما هي تلك الركوة؟ قال: اعلم أن الثني الأول الذي جرمه أعظم من جملة الطبقات [٣] يصرف في ترتيبها وتركيبها ذلك الشيخ الذي يقف فوقهم جميعاً، وكذلك الشيخ الثاني في الثنى الثاني، والثالث في الثالث وهلم جرا إلى أن يصل إليّ. وهؤلاء الأصحاب والرفاق التسعة يبدع كل واحد منهم واحداً من تلك الثنايا فهي من فعلهم وصناعتهم. أما الطبقتان السفليتان مع تلك الجرعة من الماء وذلك الرمل في وسطهما فإنهما من تحصيلي. ولما كان بنيانهم قوياً، لا تتمزق ولا تنثقب صنعتهم، بينما صنعتي قابلة للتمزيق.

ثم سألته: كيف يتعلق هؤلاء الشيوخ بك؟ فأجاب: اعلم أن الشيخ الذي يحمل سجادته على صدره[٤] هو أستاذ ومربي الشيخ الثاني[٥]، الذي يجلس إلى جانبه. وقد أثبت اسم الشيخ الثاني على جريدته[٦] وهكذا الثاني بالنسبة إلى الثالث

= الطاقة في أجرامها وإلى شفوفها وعدم لونها.

(١) ش: يريد المصنف أن يقول إنه لا يمكن فتق الأفلاك ولا رتقها؛ وعند الحكماء (الفلاسفة) براهين قاطعة على أن أجرام الأفلاك غير قابلة للفتق والرتق؛ وليس هذا موضع إيرادها.

(٢) ش: يُشير المؤلف إلى صعوبة رتق فلك النار وفلك الهواء، وإلى لطافتهما، لأن الطاقة معناها قبول الانقسام إطلاقاً.

(٣) ش: اعلم أن المصنف يقصد بالطبقة العظمى الفلك الأعظم، وبالشيخ «الذي يقف فوقهم جميعاً» العقل الأول، يعني أن الفلك الأعظم معلول للعقل الأول؛ ويقصد بالطبقة الثانية فلك البروج الذي هو معلول للعقل الثاني، وهكذا دواليك. وعلى هذا التقدير فإنه من الواضح أن هذه الأفلاك التسعة معلولات للعقول التسعة. أما الطبقتان السفليان والقدر من الماء والرمل فإنها معلولات كلها للعقل الفعال.

(٤) ش: يقصد بالشيخ الذي يحمل سجادته على صدره، العقل الأول كما وصفناه.

(٥) ش: هو علة وجود العقل الثاني وسبب ظهوره؛ وهكذا حتى العقل الفعال على نحو ما قلنا.

(٦) لنلاحظ أن هذا القسم من الرؤية يستعير رموزه من حياة الصوفي؛ راجع الاصطلاحات: بير، خانكاه، خرقه، جريدة، إلخ.

والثالث بالنسبة إلى الرابع حتى وصل إليّ. أما أنا فإن الشيخ التاسع قد أثبت اسمي في جريدته[١] وأعطاني الخرقة والتعليم.

سألته: ألكم أولاد وملك وأمثال ذلك؟ قال: ليس لنا زوج [٢]، ولكن لكل أحد منا ولد، ولكل أحد منا رحى[٣] وقد وكلنا كل ولد برحى من الأرحاء يديرها[٤]، وبينما يتصرفون في تلك الأرحاء لا ننظر نحن إليها[٥]. بل الأولاد هم الذين يشغلون بتعمير تلك الأرحاء: بإحدى عينيه ينظر إلى رحاه، وبعينه الأُخرى يلتفت دائماً إلى جانب أبيه[٦]. أما رحاي أنا فإنه ذو أربع طبقات[٧]، وأولادي في غاية الكثرة حتى إن أذكى المحاسبين لا يستطيعون إحصائهم[٨]. وفي كل لحظة

---

(١) ش: أي أنه علة وجودي.

(٢) ش: عدم الزوج يشير به إلى التجرد عن المادة.

(٣) ش: بالأولاد يشير إلى نفوس الفلكية، وبالأرحاء يقصد الأفلاك التسعة والعناصر الأربعة. وتشبيه حركة الأفلاك بحركة الرحى يوجد كثيراً في الكتب الفلكية التنجيمية العربية، ومن المحتمل أن يكون له أصل يوناني. راجع مثلاً: البيروني «كتاب التفهيم لأوائل صناعة التنجيم» (نشر رمزي ريت Ramsay Wright لندن سنة ١٩٣٤). ص ١٢٣، ص ٤٥. ويذكر المؤلف فيه أيضاً الاشتقاق الشائع للكلمة الفارسية أسمان (سماء) = أس ـ مانند = شبيه بالرحى.

(٤) س: يشير المؤلف إلى أن كل نفس تقوم بالتدبير والتأثير في الفلك الخاص بها.

(٥) ش: يقصد بعدم الالتفات، التجرد (عن المادة) أيضاً.

(٦) ش: أي أنه من جهة الوجود يؤثر كل منهم في نفسه من أجل الدوام والبقاء، ويرقب علة نفسه من أجل اقتباس العلوم؛ أما من جهة الماهية فإنها تؤثر في تداوير الأفلاك. ولهذا فإن المصنف بين نسبة النبوة إلى النفس، ونسبة الأبوة إلى التعقل، نظراً إلى أن العقل علّة وجود النفس، لأن وجود النفس يقوم على وجود العقل ولا ينعكس. وهذه هي الأبوة بمعناها الحقيقي؛ لأن وجود الابن يقوم على وجود الأب، ولا ينعكس. ولكن في حالة الأبوة والبنوة (بمعناها الحقيقي) يوجد من الانعكاس، لأننا نقول إن الأبوة تحصل حينما تظهر البنوة، ويحصل الابن لما تكون ثمت أبوة.

(٧) ش: يقصد المؤلف بالطبقات الأربع «العناصر الأربعة»، التي هي معلومات للعقل الفعال.

(٨) ش: يقصد بكثرة الأولاد وجود صور جسمية تنبثق على المواد المركبة بواسطة الكون والفساد اللذين يحدثان في العناصر البسيطة بتجريدها من صورة وإلباسها صورة =

ينشأ لي عدة أولاد[١] وإني أبعث كل واحد منهم إلى رحاه، واجمعهم مدة معينة يتولى كلٌّ عمارة رحاه[٢]. وإذا انقضى وقتهم[٣] يرجعون إليّ ولن يفارقوني مرة أُخرى، بل ينشأ أولاد أُخر[٤] يذهبون إلى رحاهم. فهذا هو النظام. ولما كانت الرحى ضيقة جداً، وكثرت فيها المخاوف والمهالك على حافتها، فإن من أتم من أولادي نوبة رعايته فقد فارق ذلك المقام ولن يشتهي عودة إليها فهذا شأن أولادي. على أن هؤلاء المشايخ الأُخر ليس لهم أكثر من ولد يتكفل بإدارة رحاه ويقوم دائماً بعمله[٥]. هذا وإن ولد كل واحد منهم أقوى من جملة أولادي[٦]، كما أن أرحائي وأولادي يستمدون مددهم من أرحائهم وأولادهم[٧].

قلت: كيف وقع لك هذا التوالد والتناسل المتجدد؟ قال: إعلم أني لا أتغير

= أُخرى. وهناك كثرة من هذه الأحوال. فالعنصر الهوائي يتجرد عن صورته ويلبس صورة النار، وبالعكس؛ والعنصر المائي يتجرد عن صورته ويتخذ الهواء، وبالعكس. واختلاف هذه الصور يتجاوز كل حد وعد.

(١) ش: يقصد المؤلف بهؤلاء الأولاد، الصور الخاصة أو الطارئة على مواد العالم.

(٢) ش: يقصد بالمدة المعينة بقاء اتحاد الصور بالهيولات أو المواد، لأن صورة كل عنصر لها مدة بقاء معينة خاصة باتحاده من الهيولى؛ وبقاؤه معناه ارتفاع الموانع واجتماع الشرائط (شرائط اتحاد الصورة مع المادة). فإذا اختفت هذه الشرائط أو ظهرت تلك الموانع انقضت مدة بقائه.

(٣) ش: يبين المؤلف امتناع إعادة المعدوم، لأن المعدوم لا يعاد بعينه، يعني أنه إذا حدث تحليل لمركب، فإن كل عنصر يقصد إلى حيزه الطبيعي. هنالك يحصل لهذه الصورة الفساد، فتعود إلى مبدئها الأصلي، وإذاً لا يكون عودها ممكناً بعد.

(٤) ش: بالأولاد الأخرى يقصد المؤلف الصور المتجددة الحادثة المتعاقبة بالفيض على صورة فاسدة.

(٥) ش: يعني أن النفوس التي تؤثر في الأفلاك تؤثر بطريقة دائمة، بخلاف الصور الخاضعة للفساد التي فيها تتعاقب صورة على صورة.

(٦) ش: هذا الولد (في المخطوطة ب نص يختلف قليلاً) الأقوى من جملة الأولاد هو نفس الكون المعلولة للعقل الأول. وكما أن العقل الأول يؤثر في بقية العقول، فكذلك النفس الأولى تؤثر في باقي النفوس.

(٧) ش: يعني أن النفوس التسع التي هي أولاد النفس الكلية تؤثر في تكوين الصور.

عن حالي وليس لي زوج، غير أني أملك جارية[١] حبشية لا أنظر إليها أبداً حتى لا تصدر عني حركة[٢]. والواقع أن تلك الجارية جالسة متمكنة في وسط الأرجاء، ناظرة إلى الأرجاء ودورانها وحركتها[٣]. وكلما تحركت الأشجار ظهر دورانها في حدقتها ونظر عينيها. وعندما تلتفت حدقة الجارية السوداء، ونظرها يلقاني أثناء ذلك الدوران، يُخلق مني ولد في رحمها[٤] من غير أن يحدث مني تحرك أو تغير.

قلت كيف يمكن أن يتصور ذلك النظر والالتفات إليك ومحاذاتها نحوك؟ قال: إن مراد ذلك اللفظ صلاحية ما واستعداد، لا غير[٥].

قلت للشيخ: لماذا نزلت إلى هذا الدار إذا ادعيت على نفسك عدم التحرك؟ قال: يا سليم القلب! إن الشمس تدور في فلكها دائماً. إلا أن المكفوف إن كان لا يدركها ولا يحس بحالها فإن عدم إحساسه لا يوجب عدم وجودها أو سكونها في مكانها. ولو زال ذلك النقص عن المكفوف فإنه لا يسوغ له أن يطالب الشمس قائلاً: لماذا لم تكوني في العالم من قبل، لماذا لم تباشري دورانك الدائم؟ لأن دوام حركتها ثابت إلى الأبد. فليس التغير في حالة الشمس، بل في حالة المكفوف. كذلك نحن: فإننا دائماً في هذا الصف. وأما عدم رؤيتك إيانا فليس دليلاً على عدم وجودنا أو على تغيرنا وانتقالنا عن حالنا: إن التبدل في حالك أنت[٦].

---

(١) ش: على الرغم من الاعتراف بعدم وجود أنداد لها، فإن المؤلف يقصد بهذه الجارية الحبشية الهيولى المجردة عن الصورة. وبقوله بنسبة بينها وبين اللون الأسود، يقصد المؤلف العدم، لأن الهيولى بدون الصورة تكون لا وجود لها.

(٢) س: عدم التغير والحركة عند الشيخ ضروري جداً، لأن الحركة من خواص الجسم.

(٣) ش: يعني أنها تترصد حلول الصورة الآتية من واهب الصور.

(٤) ش: يعني أنه في كل حالة تستعد فيها لنزول صورة مني أنا واهب الصورة، تنزل صورة في هذه الهيولى.

(٥) ش: هذه الألفاظ صالحة للمعاني التي تحدثنا عنها. لأن لقاء العقل بالهيولى الجسمانية لا يعقل ولا يتصور، لكن يقصد بهذا اللقاء استعداد واستحقاق الهيولى للصورة.

(٦) ش: معنى كل هذه الكلمات هو أن فيضها بفضلها وفائدتها هي، وهي جواهر روحانية، يفيضان دائماً على الموجودات المستعدة لها. وليس فيها بخل ولا ضن. فإذا كان =

قلت: أتسبحون الله عز وجل تسبيحاً؟ قال: كلا! إن الاستغراق في المشاهدة يشغلنا عن التسبيح. وإن كان هناك تسبيح، فإنه ليس بواسطة الألسن والجوارح ولا بحركة واهتزاز وما إليه.

قلت: ألا تعلمني علم الخياطة؟ فتبسم وقال: يا للأسف، ليس لأشباهك ولنظرائك قِبَلٌ بهذا، فإن ذلك العلم غير ميسّر لنوعك، وذلك أن خياطتنا لا تتعلق بعملية وقصد وآلة[١]. على أني أعلمك من علم الخياطة قدر ما يمكنك من تصليح خرقتك الخشنة المرقعة[٢].

وقد علمني ذلك القدر من العلم.

ثم قلت[٣]: علمني الآن كلام الله. وقال: إن المسافة عظيمة، وما دمت في هذه القرية[٤]، فلا يمكنك أن تتعلم كثيراً من كلام الله تعالى. ولكني أعلمك قدر ما أنت ميسر له.

هذا وإنه أحضر إليّ لوحاً[٥] وعلمني حروف هجاء عجيبة[٦] حتى إنني

= ثمت أحد لا يفيض عليه شيء ولا يستفيد، فليس هذا بسبب عدم انقطاع فيضها. ولكن بسبب عدم الاستعداد أو لأن هذا غير متوجه إلى العالم الروحاني بل مستغرق في العالم المحسوس.

(١) ش: اعلم أنا قد شرحنا في أول هذه الرسالة أن الخياطة تشير إلى تركيب الصورة مع الهيولى، ومن اليقيني أنه لا يوجد في النوع الإنساني استعداد لتلقي معناه كاملاً.

(٢) ش: يعني بهذا كشف علم الطب وإصلاح البدن بالمحافظة على اعتدال المزاج. والمؤلف يقول: «اهتم بتصليح خرقتك المرقعة»، ولا يقول «خطها»، لأن الخياطة، وهي تركيب الصورة مع المادة، ليست من شأنه، كما هو ظاهر مما أسلفنا.

(٣) هنا يبدأ القسم الثاني من الرؤيا.

(٤) ش: يعني أنه طالما كنت في العالم المحسوس فإنك لا تستطيع أن تقف على الكليات وعلى حقائق العلوم على الجملة.

(٥) اللوح المحفوظ.

(٦) ش: يقصد المؤلف باللوح: الحس المشترك، وبحروف الهجاء: علم المنطق، لأن المنطق حروف هجاء بالنسبة إلى علم الحكمة. ـ ابتداء من هنا يضل الشارح.

استطعت أن أفهم بواسطة الهجاء معنى كل سورة من السور[١].

ثم قال: إن من لا يفهم هذا الهجاء لا يصل إلى معرفة سُورَ كلام الله على ما ينبغي. وأما من اطلع على أحوال ذلك الهجاء فقد يظهر فيه رسوخ ومتانة[٢].

وعندئذ تعلمت علم الأبجد[٣]. وبعد إتمام دراستي إياه نقشت حروفه على اللوح[٤] على قدر ما كان في مرتقى قدرتي ومسرى طاقتي. وعندئذ ظهرت لي من عجائب معاني كلام الرب ـ عزّ سلطانه ـ ما لا يدخل تحت حصر البيان وحده. وكلما طرأت لي مشكلة عرضتها[٥] على شيخي وهو يزيح إشكالها.

هذا وقد دار حديثنا حول نفث الروح وقد أشار الشيخ إلى أنه يشتق الروح من روح القدس[٦]، وعندما سئل عن نسبة ما بينهما، أجاب قائلاً إن كل ما يتحرك في أربعة أرباع العالم السفلي يشتق من أجنحة جبرائيل.

ولما باحثت الشيخ في كيفية هذا النظام قال: إعلم أن للحق سبحانه وتعالى عدة كلمات كبرى تنبعث من كلماته النورانية أي من شعاع سيماء وجهة الكريم، وبعضها فوق بعض[٧]. وذلك أنه تنزل من الحق كلمة عليا ليس أعظم منها؛

---

(١) ش: كل المشاكل التي وجدتها في العلوم أمكنني حلها بميزان المنطق.

(٢) ش: من لم يتعلم المنطق لا يقدر أن يميز بين الخطأ والصواب، لأن معرفة العلوم تتوقف على تأليف القضايا وتركيب القياسات واستنباط النتائج، حتى يصير المجهول معلوماً. وكل هذا يظهر في المنطق.

(٣) ش: يقصد المؤلف بعلم الأبجد علم الحكمة، لأن هذا العلم أبجد بالنسبة إلى علوم الكشف اللدني.

(٤) ش: يقصد بنقش اللوح انكشاف العلوم والمعارف التي تسمى بالعلم اللدني، وهو العلم الذي تظهر به غرائب الحقائق، وليس لهذا العلم نهاية.

(٥) ش: في كل مرة تحصل فيها مقدمة قياس في نفسي، كنت أتوجه إلى عالم العقل حتى تفيض على نتيجة القياس من واهب الصور.

(٦) ش: يعني أن أرواح الحيوانات والنباتات هي عدد من الأنوار الفائضة من العقل الفعال.

(٧) ش: يقصد «بالكلمات» العقول، يعني أن جواهر العقول هي أنوار فائضة من لدن واجب الوجود؛ وبعضها فوق بعض درجات، بحسب شرفها ورتبتها.

ونسبتها في قدر نورها وتجليها من سائر الكلمات مثل نسبة الشمس من سائر الكواكب[١] وهذا مراد ما ورد في الخبر عن الرسول ﷺ إذ قال: «**لو كان وجه الشمس ظاهراً لكانت تعبد من دون الله**». ومن شعاع تلك الكلمة تنبعث كلمة أُخرى؛ وعلى[٢] هذا واحدة بعد واحدة حتى يكمل عدد تلك الكلمات تامة[٣].

وآخر تلك الكلمات جبرائيل ﷺ، وإن أرواح الآدميين تنبعث من تلك الكلمة الأخيرة[٤]، كما ورد في حديث صحيح عن فطرة آدم: «**يَبْعَثُ الله مَلَكاً فينفخ في الروح**». وكذلك قوله تعالى: ﴿خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ لَا ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾[٥]، وقال بعده: ﴿سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾[٦]. وكذلك قال عن مريم: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾[٧] ومعناه جبرائيل.

وأما عيسى فيسمونه أيضاً روح الله، ويسمونه مع هذا كلمة وروحاً كما نص عليه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾[٨].

أما الآدميون فهم نوع واحد ومن له روح فله كلمة، بل هذان الاسمان لا يشيران عند البشر إلا إلى حقيقة واحدة ومن آخر الكلمات الكبرى تظهر كلمات صغرى من غير حد، على ما أشير إليه في الكتاب الرباني بقوله: ﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ

---

(١) ش: يقصد بالنور الأول العقل الأول، يعني أنه لا توجد بين المخلوقات مرتبة أعلى من مرتبته.

(٢) ش: العقل الأول علة العقل الثاني، والثاني علة الثالث، حتى يصير عددها كاملاً وهو عشرة، كقوله تعالى: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٩٦].

(٣) ش: يعني أن فيضه ينتشر دائماً على كل الكائنات المستعدة له.

(٤) ش: حينما يتم نمو النطفة في الرحم وتصبح مستعدة لقبول الصورة الإنسانية، تفيض في الحال من العقل الفعال نفس ناطقة تتعلق بها (أي النطفة).

(٥) سورة السجدة، الآيتان: ٧ ـ ٨.

(٦) سورة السجدة، الآية: ٩.

(٧) سورة مريم، الآية: ١٧.

(٨) سورة النساء، الآية: ١٧١.

ٱللَّهِ﴾(١)، وقال ﴿لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾(٢) جميعها خلقت من شعاع تلك الكلمة التي هي في مؤخرة طائفة الكلمات الكبرى المذكورة، كما ورد في التوراة: «**خلقتُ أرواح المشتاقين من نوري**(٣)». وهذا النور ليس غير روح القدس. وبهذا المعنى أيضاً ما نُقل عن سليمان النبي إذ قال له أحدهم: يا ساحر! قال: لست بساحر، إنما أنا كلمة من كلمات الله.

وأيضاً فللحق تعالى كلمات وسطى. أما الكلمات الكبرى فهي التي قيل عنها في الكتاب الإلهيّ: ﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا﴾(٤)؛ وأما قوله: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾(٥) فهم الملائكة محركو الأفلاك وهي الكلمات الوسطى. وكذلك فإن قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾(٦) إشارة إلى الكلمات الكبرى، وقوله ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾(٧) إشارة إلى الكلمات الوسطى؛ ولأجل هذا تقدمت عبارة «الصافون» في كل مكان من القرآن المجيد، إذ قال: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا﴾(٨). وفي هذا غور بعيد لا يليق استيعابه بهذا المحل. وقد تستعمل «الكلمة» في القرآن أيضاً بمعنى السر.

قلت للحكيم: أخبرني الآن عن جناح جبرائيل. قال: إعلم أن لجبرائيل جناحين(٩): أحدهما عن يمين وهو نور محض، وهذا الجناح ينضاف مجرد

---

(١) سورة لقمان، الآية: ٢٧.
(٢) سورة الكهف، الآية: ١٠٩.
(٣) اقتباس منحول.
(٤) سورة النازعات، الآية: ٤.
(٥) سورة النازعات، الآية: ٥.
(٦) سورة الصافات، الآية: ١٦٥.
(٧) سورة الصافات، الآية: ١٦٦.
(٨) سورة الصافات، الآيتان: ١ ـ ٢.
(٩) ش: شرحنا من قبل أن العقل الأول تعرض له ثلاثة أشياء، وأنه بواسطة كل منها يصدر شيء عنه. وهو هنا أيضاً يشير بجناحي جبرائيل إلى صفتين لاحقتين بهذا العقل الأول. الأول هي الوجوب، يعني أنك لو نظرت إليه بالنسبة إلى علته،=

وجوده إلى الحق. وأما الجناح الأيسر فتمتد عليه بقعة سوداء كأنها الكلف الذي يظهر في وجه القمر أو كأنها تذكرنا بالألوان التي على قدم الطاووس. وفي هذا إمكان وجوده الذي جانب منه ينصرف إلى العدم. فإذا نظرت ما لجبرائيل من الوجود بجود الحق فإنه يوصف بوجوب الوجود. وإذا نظرت إليه بقدر استحقاق ذاته فإنه يوصف بالعدم، ومن هذه الجهة يلزم إمكان الوجود. فهذان المعنيان ممثلان في جناحي جبرائيل: الأيمن إضافته إلى الحق، والأيسر استحقاقه في ذات نفسه، كما قال الحق سبحانه وتعالى: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾[1]. وقد ذكر مثنى في أولها إذ كان الاثنان أقرب الأعداد إلى الواحد ثم الثلاثة والأربعة[2]. ومن ها هنا أن الذي له جناحان أشرف من الذي له ثلاثة وأربعة. وهذا سر يتفرع على تفصيلات كثيرة في علوم الحقائق والمكاشفات، غير أن فهم العوام لا يبلغ غوره[3].

= وجدته واجباً بوجود العلة، وهو ما أشار إليه بالجناح الأيمن الذي يقول عنه المؤلف إنه النور المحض. وإنه في ذاته لا إضافة ولا نسبة له إلا إلى الله الحق؛ وهذا الوجوب هو صفة وجود الحق. والصفة الأخرى هي الإمكان، يعني أنك إن نظرت إليه من جهة ذاته وماهيته، وجدته ممكناً، وهذا ما أشار إليه بالجناح الأيسر الذي يقول عنه: إن عليه بقعة سوداء، كأنها الكلف الذي يظهر في وجه القمر؛ وهذا السواد والكلف صفتان للإمكان العارض لوجوده. وإذا كان المؤلف يضع نسبة بين السواد والإمكان، فذلك لأننا نصير من الإمكان إلى العدم. فهذان المعنيان هما اللذان يشار إليهما بجناحي جبرائيل: فالجناح الأيمن هو إضافته إلى الحق، وهذا هو الوجوب؛ والجناح الأيسر هو إضافته إلى نفسه، وهذا هو الإمكان والعدم.

(١) سورة فاطر، الآية: ١.

(٢) ش: حاصل هذا القول أن كل حد يكون ما صدقه أقل، يكون بهذا أقرب إلى منبع الوحدة. وكلما قرب من الوحدة، زاد شرفه. ولهذا يقول: «إن الذي له جناحان أشرف من الذي له ثلاثة أو أربعة».

(٣) ش: لأنه لا يفهم أحد أين الشرف عند من له جناحان بالنسبة إلى من له ثلاثة، ولا الشرف عند من له ثلاثة أجنحة بالنسبة إلى من له أربعة، وهكذا دواليك. حقاً إن أحداً لا يفهم هذا.

وإذا وقع من أوج القدس شعاع فينشأ منه نفس يسمونها كلمة صغرى. ألا ترى أن هذا ما قاله الحق تعالى: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ﴾[1].

فللكافرين أيضاً كلمة، غير أن تلك الكلمة صدى ممزوج بحسب ما عليه أنفسهم، ومن الجناح الأيسر الذي يمتد عليه قدر من الظلمة يهبط ظل منه عالم الزور والغرور، كما قال الرسول ﷺ: «**إن الله تعالى خلق الخلق في الظلمة ثم رش عليه من نوره**»، مما يشير إلى شعاع الجناح الأيسر وكذلك ورد في القرآن الكريم: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ﴾[2]. فإن تلك «**الظلمة**» التي نسبت إلى فعل: «**جعل**»، أصبحت عالم الغرور، وأما ذلك «**النور**» الذي ذكره بعد «**الظلمة**» فهو الجناح الأيمن إذ كان كل شعاع وقع في عالم الغرور من فوره. وبهذا المعنى قال تعالى: ﴿يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾[3]، إذ أن الكلمة أيضاً من شعاعه؛ وكذلك قوله مثلاً: ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾[4]، فهي كلمة شريفة نورانية من بين الكلمات الصغرى.

وإن لم تكن تلك الكلمة الصغرى في غاية الشرف، فكيف استطاعت أن تصعد إلى حضرة الحق تعالى؟! وأما أن الكلمة والروح تدلان على معنى واحد فإن علامة ذلك: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾[5] الآية، وكذلك: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾[6] فإن عبارة «إليه» ترجع في الحالتين إلى الحق جلت قدرته. وعلى هذا المعنى تدل أيضاً «النفس المطمئنة»، إذ قال: ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾[7].

ثم إن عالم الغرور ليس إلا صدى وظلاً لجناح جبرائيل أعني لجناحه الأيسر، بينما تصدر الأنفس المضيئة من الجناح الأيمن[8]. وأما الحقائق التي

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٠.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١.
(٣) سورة فاطر، الآية: ١٠.
(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٢٤.
(٥) سورة فاطر، الآية: ١٠.
(٦) سورة المعارج، الآية: ٤.
(٧) سورة الفجر، الآية: ٢٨.
(٨) ش: يعني أن عالم الكون والفساد صادر عن صفة إمكانه؛ ولهذا فهو قابل للعدم؛ أما الأرواح الإنسانية فصادرة عن صفة وجوبه، ولهذا فإنها غير قابلة للعدم.

تلقى في الخواطر والتي شأنها كما قال: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾(١)، وكذلك النداء القدسي الذي شأنه كما قال: ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ﴾(٢) وغيرها، كل ذلك من جناحه الأيمن(٣). وأما القهر والصيحة والحوادث الخاصة بعالم الغرور فهي من جناحه الأيسر(٤).

قلت للشيخ: فما هي ـ في آخر أمرها ـ صورة جناح جبرائيل؟ فأجاب: يا عاقل! كل هذه الأشياء ليست إلا رموزاً إن علمتها على ظاهر معناها كانت تخيلات لا حاصل لها(٥).

قلت: أليست كل هذه الكلمات يجاورها اليوم والليلة؟ قال: يا عاقل! ألا تعرف أن غاية صعود تلك الكلمات إلى حضرة الحق تعالى كما قال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾(٦)؟ وفي حضرة الحق تعالى ليس ليل ولا نهار: «ليس عند ربكم صباح ولا مساء»، أي في جانب الربوبية لا يوجد زمان.

قلت: وأين القرية التي قال الحق تعالى عنها ﴿أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾(٧)؟ قال: ذلك عالم الغرور الذي هو أليق محل للكلمة الصغرى. ثم إن الكلمة الصغرى أيضاً قرية لأن الله تعالى قال: ﴿تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا﴾ ﴿مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾(٨). أليس هذا هيكل الكلمة الذي أصبح خراباً؟ على أن ما

---

(١) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.
(٢) سورة الصافات، الآية: ١٠٤.
(٣) ش: معلوم مما قلناه إن جبرائيل هو الواسطة بين فيض واجب الوجود وبين النفوس الإنسانية. وينتج من هذا أن إلقاء الحقائق الروحية والنداء القدسي كليهما من تدبيره.
(٤) ش: معلوم كذلك مما قلناه أن جبرائيل يؤثر في عالم الكون والفساد وهو محل القهر والصيحة (صراخ البؤس) والحوادث. وعلى هذا فكل شيء صادر عن تأثيره. .
(٥) ش: يعني أن كل ما له صورة وصوت ليس جديراً بالاهتمام، وإنما نستخدم هذه الألفاظ على سبيل الاستعارة (والمجاز) حتى يتيسر الفهم للخلق؛ وعلى هذا.
(٦) سورة فاطر، الآية: ١٠.
(٧) سورة النساء، الآية: ٧٥.
(٨) جمع بين سورة الأعراف، الآية: ١٠١ وسورة هود، الآية: ١٠٠.

ليس له مكان، وما خرج عن كليهما فهي كلمات الحق تعالى، كبيرة كانت أو صغيرة.

ثم عندما ارتفع على قصر أبي فجر النهار، أغلق الباب الخارجي وفتح باب المدينة، وذهب التجار إلى أشغالهم [١]، وتغيبت عني جماعة هؤلاء الشيوخ [٢]، وبقيت في حسرة متشوقاً إلى صحبتهم عاضاً أناملي وصارخاً الويل ومظهراً لعظمة حيرتي. ولكن لا فائدة بعد.

هنا تنتهي قصة أصوات جناح جبرائيل عليه السلام.

ذيل وتعليق

من أفشى لطائف أسرار ذلك الشيخ العظيم الشأن إلى العوام وإلى غير أهلها ستنفصل نفسه عن بدنه وسيصبح فضيحة الرجال.

وربنا مشكور ومحمود والصلاة على محمد وآله وسلم تسليماً.

---

(١) ش: يعني لما غلبت المشاكل على الفراغ من جديد، وانغلق الباب المطل على الخارج (أي على العالم الروحي) وانفتح المؤدي إلى المدينة، أي إلى العالم الجسماني، وذهب التجار، وهم رجال الأعمال والمشاغل، ويقصد بهم الحواس الظاهرة، إلى أشغالهم. ـ إلى جانب القراءة «بازريان» (تجار) يلوح أن الشارح قد عرف القراءة الأخرى «بازياران» (فلاحون)، لأنه يستمر في شرحه قائلاً: «إنه يطبق على الحس الظاهر صفة فلاح، لأن الحواس الظاهرة هي التي تبذر بذور إدراك الجزئيات المحسوسة، حتى تثمر كليات معقولة».

(٢) ش: يعني أنه لما حدث الاستغراق في العالم المحسوس، حرم مشاهدة العالم المعقول. والتحسر على مشاهدة العالم المعقول والجواهر القدسية ضرورة أليمة.